

يَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْمُحْتَرَمُونَ،

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ¹﴾

يَا أَيُّهَا الْجَمَاعَةُ الْعَزِيزَةُ،

إِنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَيْنِ وَالْدُنْيَا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ فِي حَرَكَةٍ. وَإِنَّ حَرَكَتَهَا تَسْتَمِرُّ بِأَمْرِ اللَّهِ مِنْذُ الْيَوْمِ الْأَوَّلِ مِنْ خَلْقِهَا بِحِسَابٍ لَا يَخْتَلُّ. خُذِ الشَّمْسَ أَسَاسًا لِلْحِسَابِ أَوْ الْقَمَرَ، يَبْقَى عِدَدُ الشُّهُورِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا. مِنْ قَدِيمٍ، تَأْخُذُ الْعَرَبُ الشُّهُورَ الْقَمَرِيَّةَ أَسَاسًا فِي حِسَابِهِمْ. كَمَا مَرَّ فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ، أَرْبَعَةٌ مِنَ الشُّهُورِ حُرْمٌ - يَعْنِي مُسْتَحَقَّةٌ لِلْحُرْمَةِ وَالْإِحْتِرَامِ. وَإِنَّ حُرْمَةَ هَذِهِ الْأَشْهُرِ ثَابِتَةٌ مُذْ زَمَانِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ. وَمِنْ ثَمَّ، أُعْمِدَتْ فِيهَا السُّيُوفُ فِي أَعْمَادِهَا، وَوُضِعَتْ السِّهَامُ فِي جَعْبَتِهَا، وَأَخَذَتِ السَّكِينَةُ وَالسَّلَامَةُ مَكَانَ الْعِدَاوَةِ الْحَارَّةِ اللَّانِهَائِيَّةِ وَلَوْ كَانَ لَوْقْتٌ مُحَدَّدٌ. فَتَحَوَّلَتْ الصَّحْرَاءُ الَّتِي أَصْبَحَتْ مَكَانًا مُخِيفًا مِنَ الْبُعْضِ وَالْحَقْدِ وَالْإِحْنَةِ إِلَى بُسْتَانِ السَّلَامَةِ حَتَّى لَمْ يَلْتَفِتِ الرَّجُلُ إِلَى قَاتِلِ أَبِيهِ. لِأَجْلِ ذَلِكَ سُمِّيَ الشَّهْرُ بِرَجَبِ الْأَصَمِّ. فَاجْتَنِبْ فِيهِ الْجِنَايَاتُ وَالْجَرَائِمُ وَالْقِتَالُ وَالنِّزَاعَ. فَلِعَدَمِ هَذِهِ الْأُمُورِ وَرُجُوعِ السَّكِينَةِ فِي مَكَانِهَا سُمِّيَ الشَّهْرُ بِالْمُطَهَّرِ كَذَلِكَ.

يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْمُحْتَرَمُونَ،

وَلِكُونَ شَهْرٍ رَجَبٍ مُطَهَّرًا، يُبَشِّرُنَا رَبَّنَا تَعَالَى بِتَطْهِيرِ ذُنُوبِنَا وَخَطَايَانَا إِذَا أَمْضَيْنَا الشَّهْرَ صَائِمِينَ. فَلَنَجْتَهِدْ لِنَصُومَ خَاصَّةً فِي أَوَّلِ الشَّهْرِ وَلِنَرْفَعْ دَرَجَةَ عِبَادَاتِنَا. وَوَرَدَ فِيهِ أَنَّ صَحَابِيًّا صَامَ رَجَبَ كَامِلًا بِلَا فَاصِلَةٍ حَتَّى جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ بِهِ، فَنَصَحَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقَوْلِهِ: «صُمْ مِنَ الْحُرْمِ وَاتْرُكْ. صُمْ مِنَ الْحُرْمِ وَاتْرُكْ. صُمْ مِنَ الْحُرْمِ وَاتْرُكْ» وَقَالَ - يَعْنِي أَشَارَ - بِأَصَابِعِهِ الثَّلَاثَةَ، فَضَمَّهَا ثُمَّ أَرْسَلَهَا². فَالْمَقْدَارُ الْأَقْلُّ أَنْ نَصُومَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَنُفْطِرَ ثَلَاثَةَ. وَلِلْمُسْلِمِ أَنْ يَصُومَ كُلَّهُ إِذَا شَاءَ.

يَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْكِرَامَ،

إِنْ شَاءَ اللَّهُ سُنَّحِي لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ الْأُولَى مِنْ شَهْرِ رَجَبِ الَّتِي تُسَمِّيَهَا لَيْلَةَ الرَّغَائِبِ فِي ٢٢ آدَارَ هَذِهِ السَّنَةِ، وَهِيَ اللَّيْلَةُ الَّتِي تَرْتَبُطُ بِالْخَمِيسِ بِيَوْمِ الْجُمُعَةِ. وَإِنَّهَا لَيْلَةٌ مُبَارَكَةٌ يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نُحَاسِبَ أَنْفُسَنَا فِيهَا سَائِلًا: فِي مَنْ أَوْ فِي مَاذَا أَرُغِبُ؟ إِنَّا قَادِمُونَ إِلَى جَوْ رَمَضَانَ الْمُبَارَكِ الْمَلِيَّةِ بِالرَّحْمَةِ، فَلَنُذَكِّرْ أَنْفُسَنَا بِعُبُودِيَّتِنَا لِرَبَّنَا تَعَالَى، وَلِنُرَاقِبْ فِيهَا جَعْلَنَا مَدَارَ حَيَاتِنَا. فَإِنَّ لَيْلَةَ الرَّغَائِبِ وَسِيْلَةٌ رَائِعَةٌ لِنَنْتَبِهَ وَنَذَكُرَ مَا هُوَ مُبْتَغَانَا وَمَا هُوَ الَّذِي نَمِيلُ إِلَيْهِ. فَمَبْدَأُ مُحَاسَبَةِ رَعْبِنَا هُوَ لَيْلَةُ الرَّغَائِبِ.

يَا أَيُّهَا الْجَمَاعَةُ الْكَرِيمَةُ،

إِنْ شَاءَ اللَّهُ سَتَحْمِلُنَا ثَمَرَاتُ هَذِهِ الْمُحَاسَبَةِ الْخَالِصَةِ إِلَى الْأَشْهُرِ الْقَادِمَةِ. وَلِذَلِكَ يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَتُوبَ إِلَى اللَّهِ لِكُلِّ خَطِيئَةٍ عَصَيْنَاهُ بِهِ، وَنَعَزِمَ أَنَّا لَنْ نَرْجِعَ إِلَيْهِ أَبَدًا. وَلَا بُدَّ لَنَا فِي لَيْلَةِ الرَّغَائِبِ فِي شَهْرِ رَجَبِ الْمَعْرُوفِ بِشَهْرِ الْمَغْفِرَةِ وَالتَّوْبَةِ مِنْ خَالِصِ تَجْدِيدِ عَقْدِنَا لِعُبُودِيَّتِنَا لِلَّهِ. فَإِنَّهُ يُؤَكِّدُ لِعِبَادِهِ أَنْ لَا يَقْطَعُوا تَأْكِيدًا. فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا³ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ⁴﴾ فَإِنَّ هَذِهِ الْأَيَّامَ وَاللَّيَالِي كَفَرُوضِ رَحْمَةِ رَبِّنَا اللَّانِهَائِيَّةِ لَنَا خَاصَّةً. وَالَّذِي يَقَعُ عَلَيْنَا هُوَ الْاسْتِفَادَةُ بِالْمِكْيَالِ الْأَوْفَى مِنْ بَحْرِ الرَّحْمَةِ هَذَا.

يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْكِرَامَ،

رُوي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا دَخَلَ رَجَبٌ قَالَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي رَجَبٍ، وَشَعْبَانَ، وَبَلَّغْنَا رَمَضَانَ»⁴ إِذَنْ نُحَوَّلْ قُلُوبَنَا إِلَى بَيْتِ طَاهِرٍ خَالٍ مِنَ الْأَوْسَاحِ لِيَكُونَ قَابِلًا لِكُلِّ أَنْوَاعِ إِكْرَامِ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْأَيَّامِ الْقَادِمَةِ وَشَهْرِ شَعْبَانَ وَرَمَضَانَ خَاصَّةً. بُورِكَ فِي شَهْرِنَا هَذَا وَفِي لَيْلَةِ الرَّغَائِبِ. وَرَزَقَنَا اللَّهُ بِزَادٍ مَادِيٍّ وَمَعْنَوِيٍّ. آمِينَ